

الفصل الثاني آثار الغنوسة على أهل الفتاة

- ١- الانشغال الدائم بالعانس والتفكير فيها
- ٢- الاقتصار على الإقامة بالبلاد والحد من حرية التنقل
- ٣- حمل هم العانس والاهتمام بها إلى آخر لحظة من حياة وليها

الفصل الثاني

آثار الغنوسة على أهل الفتاة

١- الانشغال الدائم بالعانس والتفكير فيها :

والد العانس دائم التفكير فيها والانشغال بها فتراه قد ظهرت عليه علامات الكبر وخطط رأسه الشيب قبل أوانه ليس بسبب هود وأخواتها ولكن بسبب سليمي وسلمي من بناته وبنات إخوانه وأخواته اللاتي أهرمنه وأمراضه وأسقمه التفكير فيهن فهن قد زوى عودهن وطال قعودهن ولا أمل لهن في خاطب فهذا واحد تقدم فرفضته ابنته الصغيرة بحجة أنه تجاوز أخواتها الأكبر منها ، وهذا خاطب آخر فرفضته بحجة أنه أقل منها تعليما ومترلة فليس هو من رجالها. أو البنت الكبيرة فقد انزوت في غرفتها وأسود لونها وأبيض شعرها قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى مصورا حمل والد البنات لهمومهن:

إذا المرء شب له بنات عصبين برأسه عنتا وعارا^(١)

وأنشد ابن الأعرابي لرجل عنده بنات حمل همهن منذ صغرهن فإذا زوجهن^(٢) بأزواج أغنياء احتقروهن وأهانوهن وشتموهن وضربوهن وإن زوجهن بأزواج فقراء لم يستطيعوا أن يقوموا بمستلزماتهم وتلبية طلباتهم، ولذا تمنى لهن الموت حتى يرتاح ويرتحن معه وذلك في ظنه فقال:

أحب بنيتي ووددت أني	سترت بنيتي في قعر لحد
وما إن ذاك من بغض ولكن	مخافة أن تذوق البؤس بعدى
فإن زوجتها رجلا فقيرا	أراها عنده والههم عندي
وإن زوجتها رجلا غنيا	فيلطم خدها ويسب جدي

(١) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٣٢٥

(٢) هذا عندما كان الزواج سهلا مسورا

سألت الله يأخذها قريبا وإن كانت أحب الناس عندي^(١)

٢- الاقتصار على الإقامة بالبلاد والحد من حرية التنقل :

تختلف حركة الإنسان وتنقلاته بحسب أحواله فالأعزب أكثر حركة وتنفلا وضربا في الأرض من المتزوج الذي له زوجته ولم يرزق بأولاد بعد كما أن المتزوج الذي ليس له ولد يكون أكثر حركة من الذي له أولاد فإذا جاءه الأولاد قلت حركته ، كما أن صاحب الأولاد يكون أكثر حركة من الذي له بنات فصاحب البنات غالبا يخلد إلى الجلوس في بلده وملازمة بناته فيجبره بناته على تحديد الإقامة وعدم حرية التنقل فهو لا يذهب إلى أماكن بعيدة خوفا على بناته أن يمسهن سوء أو يناهن مكروه فهو يخشى عليهن من إمام الجوع والعري بغيابه والغلظة والشدة من الذي يقوم بشأنهن في حالة عدم تواجده كما أنه عرض يخشى عليه أن ينتهك وحرمات يهمله الحفاظ عليها ، قال حطان بن المعلى مصورا حبس بناته له وإنه لولاهن لكان كل يوم في بلد :

لولا بنيات كزغب القطا
لكان لي مضطرب واسع
إن هبت الريح على بعضهم
وإنما أولادنا بيننا
ينهضن من بعض إلى بعض
في الأرض ذات الطول والعرض
لم تطعم العين من الغمض
أكبادنا تمشي على الأرض^(٢)

فإذا زوج الإنسان بناته عادت له حرите من التنقل والتحرك كما يشاء، إما إذا كانت بناته صغارا أو كن كبارا ولم يتزوجن ولا إخوة كبار هن فإنه يلازم بيته ومدينته ويقل خروجه. وإذا أمن الإنسان مكانا لبناته ووجد هن حرزا منيعا فإنه لا يستطيع

(١) عيون الأخبار ج ٣ ص ٩٣

(٢) بهجة المجالس القسم ١ ص ٧٦٧-٧٦٨

الجلوس بل سيسافر لتوفير لقمة العيش الكريم هن ، وإن كان من غير وجود هؤلاء
البنات لا يخشى الفقر وإنما صار يخشاه الآن لوجودهن ، قال إسحاق بن خلف البهراني:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ولم أجب في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ذل اليتيمة يجفوها ذو الرحم
أحاذر الفقر أن يلتم بساحتها فيهتك الستر عن لحم على وضم
أخشى إضاعة عم أو جفاء أخ وكنت أحنو عليها من أذى الكلم
ما أنس لا أنس منها إذا تودعني والدمع يجري على الخدين ذا سجم
لا تبرحن فإن متنا فإن لنا ربا تكفل بالأرزاق والقسم
تهوى حياتي وأهوى متوتنا شققا والموت أكرم نزال على الحرم^(١)

٢- حمل هم العانس والاهتمام بها إلى آخر لحظة من حياة وليها :

يستعذب بعض الآباء الموت ويرحب به ويطيب به نفسا عندما يكون لا بنات
له، ويهتم بالموت ويفرق منه ويخشاه عند وجود البنات، قال ابن الأعرابي: سمعت شيئا
أعرابيا يقول: إني لأسر بالموت ولا دين ولا بنات.^(٢)

ويعتبر كثير من الناس أن تزويج البنات والانتهاه من همومهن من أكبر النجاح
وأن وجودهن في البيت من غير زواج من أكبر المشغوليات وأنهن يأخذن حيزا كبيرا من
تفكير آبائهن وأولياء أمورهن وأن الانتهاه منهن يجعل المرء يفكر في إنجازات أخرى، وقد
ظن مشركو مكة أن تزويج النبي صلى الله عليه وسلم لبناته وانتهائه من همومهن والفراغ
منهن تركه من غير شيء يشغل باله ففكر في شغل نفسه بادعاء النبوة فادعاها ولذلك

(١) عيون الأخبار ج ٣ ص ٩٣ ، الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ١٠٧ ، محاضرات الأدباء ج ١ ص ١٥٧

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦١

أمروا أزواج بنات النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيقهن حتى ينشغل بهن وينسى دعوته ويتضح لنا هذا الأمر في هذه القصص:

— سألت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يزوج بنتها زينب من ابن أختها أبي العاص بن الربيع وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين أمانة ومالا وتجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها وذلك قبل نزول الوحي عليه وكانت خديجة تعدُّ أبا العاص بمتزلة ولدها فلما أكرم الله عز وجل نبيه بالنبوة قال أهل مكة: إنكم فرغتم محمداً من همه فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت قال: لا والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثنى عليه في صهره خيراً.^(١)

— عند نزول قوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾^(٢) أمر أبو لهب ابنه عتبة وعتيبة بطلاق رقية وأم كلثوم وقال لهما: رأسي من رؤوسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد. وقالت لهما أمهما حمالة الحطب: إن رقية وأم كلثوم صبتا فطلقاهما فطلقاهما قبل الدخول عليهما.^(٣)

(١) المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ١٤٢، البداية والنهاية لابن كثير مجلد ٢ ج ٣ ص ٣١٢—٣١٣

(٢) سورة المسد آية ١ — ٥

(٣) الإصابة لابن حجر ج ٨ ص ٢٨٩ ترجمة رقم: ١٢٢٢٢

— زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته رقية عتبة بن أبي لهب فأمره أبو لهب أن يطلقها وقالت له قريش: طلق بنت محمد ونحن نكحك أي امرأة في قريش. قال: إن زوجتوني بنت أبان بن سعيد بن العاص أو بنت سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها وذلك قبل أن يدخل بها ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد في بعض أسفاره.^(١)

والبنت بصفة عامة يحمل أهلها همها منذ لحظة ولادتها وحتى وفاتها ، وبعضهم يستعجل وفاتها ليرتاح منها قال عقيل بن علفة في ابنته الجرباء:

إني وإن سيق إليّ المهر ألف وعبدان وذود عشر

أحب أصهاري إليّ القبر^(٢)

فيهتم الأهل بابتئهم وبإطعامها أحسن الطعام وإلباسها أفخر الألبسة وتربيتها وتعليمها ويحاولون جاهدين إرضاءها وتدليلها وفي رأي كثير من أرباب الأسر عدم جدوى تعليم البنت فوق المرحلة الثانوية مع فعلهم لذلك، والدافع لذلك هو الاستجابة لرغبة بناتهم وتلبية لطلبهن، ولو انتهت البنت من جامعتها وفكرت في الالتحاق بوظيفة تليق بالفتيات كالتعليم ونحوه من الوظائف فإنهم يسمحون لها بذلك ولا يأخذون من راتبها شيئا ولا ينتظرون منها شيئا بل يتمون لها ما نقص من مستلزماتها إن لم يكف راتبها ولم يف بأغراضها ، أما أخوها الذي معها في البيت والذي يمكن أن يكون أقل تعليما منها

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٠ وص ١٤٢، السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٣٠٧، أسد الغابة لابن الأثير ج ٦ ص ١١٤ ترجمة رقم ٦٩٢١ وكذلك ص ٣٨٤ ترجمة رقم ٧٥٧٣. والإصابة لابن حجر

ج ٧ ص ٦٤٩ ترجمة رقم ١١١٨١

(٢) مهجة المجالس القسم ١ ص ٧٦٦

وفي وظيفة أقل منها فإن أهله ينتظرون منه الكثير ويطالبونه بذلك ، يفعل أولياء أمور الفتيات كل هذه الأشياء نحوهن جبرا لخاطرهن وتطيبا لأنفسهن ولعلمهم أنهن إذا تروجن وظفرن بزوج كفاهن أنفسهن فقد أتين بالمطلوب منهن وزيادة، كما أن أباهن يهتم بها بعد زواجها توقعا لطلاقها من زوجها ورجوعها لبيتها.

وقد جاء في الإحسان إلى البنت في مثل هذه الحالة أجر عظيم، فعن موسى بن عليّ قال سمعتُ أبي يقول بلغني عن سُرَاقَةَ بِنِ مَالِكٍ يَقُولُ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ يَا سُرَاقَةَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الصَّدَقَةِ أَوْ مِنْ أَكْثَرِ الصَّدَقَةِ قَالَ بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ابْتِئْكَ مَرْدُودَةً إِلَيْكَ ^(١) لَيْسَ لَهَا كَاسِبٌ غَيْرُكَ. ^(٢)

ويعتد هذه الاهتمام بالفتاة طول حياة والدها وعند مرضه وشعوره باحتضاره ودنو أجله فإنه لا يخاف من الموت لأنه لا بد منه وإنما يخاف الموت لأنه يفرق بينه وبين بناته ويخشى عليهن الضيعة وجفاء أخ أو غلظة قريب ولعل الذي يخلفه عليهن يقسو عليهن أو يكون فظا غليظ القلب في معاملته هن ، قال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه أما ذنوبي فإني أرجو لها المغفرة ولكني أخاف على بناتي الضيعة فقال له صاحبه: فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فأرجه لحفظ بناتك. ^(٣)

^(١) قال ابن الأثير : المردودة: التي تُطَلَّقُ وتُرَدُّ إلى بيت أبيها، وأراد: ألا أدلك على أفضل أهل الصدقة؟ فحذف المضاف. ومنه حديث الزبير في وصيته بدار وقفها للمردودة من بناته أن تسكنها لأن المطلقة لا تسكن لها على زوجها. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ردد}]

^(٢) سنن ابن ماجه، كتاب: الأدب، باب: بر الولد والإحسان إلى البنات، حديث رقم: ٣٦٥٧ /

مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث سراقه بن مالك بن جعشم، حديث رقم: ١٦٩٢٥

^(٣) البيان والتبيين ج١ ص ١٢٠

ويوصي الأب عند وفاته أقرب أبنائه وألصقهم به بأخواته خيرا أن يهتم بهن ويراعيهن كما أوصى عبد الله بن حرام ابنه جابرا بأخواته بمراعاتهن والإحسان إليهن والحفاظ عليهن ، عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا حَضَرَ أُحَدِّثَ دَعَانِي أَبِي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَأُتْرِكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ عَلَيَّ دِينًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا .^(١)

وهذه الوصية أثرت على جابر رضي الله عنه وعلى اختياره لزوجيه فاخترت ثيبا بدلا من بكر لترعى أخواته وتقوم بمصالحهن كما مر بنا.^(٢)

أما الولد فلا يشكل هاجسا كبيرا لوالده في أي شيء كالبنات فانحراف البنات مثلا عار الأبد وعثرة لا تقال وفضيحة الدهر التي لا تغتفر وسوءة لا بعدها سوءة أما انحراف الولد فهو صبي والصبا والتصابي من شأن الصبيان كما أنه فحل وشأن الفحل المهجوم على الإناث وهذا شيء عادي وأمر طبيعي فعلى الإناث الابتعاد عن طريق الفحول وعلى أهل الإناث عدم التفريط فيهن وإلا تعرضت لها الفحول.^(٣)

يحمل كثير من الآباء هذه المفاهيم ويكون عند الواحد منهم أولاد وبنات فيطبق هذه المفاهيم على أولاده فيتسامح معهم ويطلق لهم الحبل على الغارب بل يعتذر لهم

^(١) صحيح البخاري، كتاب: الجنائز، باب: هل يخرج الميت من القبر واللحد لعله، حديث رقم:

^(٢) انظر ص من هذا الكتاب

^(٣) قال المعري:

وأحيانا يشجعهم على هذه الأمور وفي الشعر العامي السوداني امرأة لها ولد اسمه حسين يدرس في كتاب من كتاتيب القرآن وله لوح يكتب عليه آيات من القرآن ليحفظها ويمحوها ويكتب فيه غيرها ويحفظها، وكان الولد منهمكا في قراءة القرآن غير منشغل بعالم النساء، منصرفا عنهن فقالت له أمه:

يا حسين أنا أمك وأنت ماك ولدي
 ودقنك حمست جلدك خرش ما في^(٢)
 متين يا حسين أشوف لوحك معلق^(٤)
 لا حسين ركب الفي الشاية علّق
 بطنك كرش^(١) غي البنات ناسي^(٢)
 لا ك مضروب بالسيف نكمد في
 لا حسين كتل^(٥) لا حسين مفلّق^(٦)
 قاعد للزكاة ولفظ المحلق^(٧)

^(١) أي صارت بطنك كبيرة وصار لك كرش ضخمة من جراء قعودك للأكل وحفظ القرآن ولا تتحرك.

^(٢) وتجيب هذه المرأة بأن ما حدث لحسين خلاف ما تحبه وترغب فيه ، فلحيته كثرت وبطنه صارت ضخمة ونسي هذا الحسين مغازلة البنات والانشغال بمن ، والتعرض لمن ، وانصرف لقراءة القرآن .

^(٣) أي صار جلدك أملس كجلد الفتاة لا فيه جرح وخذش من ملاقة الأعداء

^(٤) تسأل هذه المرأة متعجبة ابنها حسينا متى ترى لوحه معلقا على المشجب في البيت، واللوح هو الذي يكتب به في المدارس القرآنية وهو مصنوع من خشب.

^(٥) كتل: أي قتل في حرب بينه وبين أعداءه

^(٦) وتتعجب أمه أيضا أن ابنها لم تسمع عنه أنه: قتل (كتل) في معركة من المعارك أو فلق رأسه أو جرح في جسمه.

^(٧) انظر كتاب: الهميته في السودان ، تأليف : شرف الدين الأمين عبد الله، دار جامعة الخرطوم

يكون بعض الآباء كهذه الأم في التهاون بالأبناء الذكور وعدم مراقبتهم ولكنه يراقب حركات ابنته ويفرط في المراقبة والتدقيق وهذا أمر يحمد عليه ولكن ينبغي النظر للأمر من الجانبين، وتعظيم الانحراف من الاثنين.